من الأدب الأسباني

# النبوءة

بقلم : بدرو انتونيو دى الاركون
ترجمة : كامل عبد المجيد

**بدرو آنتونيو كاتب من أصل اسبانى ولد فى (جوديكس) بمقاطعة غرناطة.. وقد نال شهرة مبكرة ككاتب روائى ،وتعد روايته «القبعة ذات الاركان الثلاثة» من أحسن أعماله المعروفة .**

**وينتمى بدرو الى جيل كتاب الرواية العظام فى اسبانيا فى القرن التاسع عشر ، كما ألف أيضا عددا كبيرا من المجموعات القصصية تتضمن قصصه القصيرة .**

**وأقصوصة (النبوءة) التى نقدمها لكم فى هذا العدد هى احدى قصصه القصيرة التى صدرت ضمن احدى مجموعاته القصصية تحت عنوان «قصص قومية» والتى صدرت فى مدريد عام ١٨٨١ .**

لا أذكر بالضبط فى أى يوم من أيام أغسطس عام ١٨١٦ ، أن أتى أحد « النور» ويدعى (هيراديا) الى باب القائد العام لمملكة غرناطة ، كان فى السبعين من عمره ، يرتدى ملابس قذرة مهلهلة ويعمل فى جز فرو الخراف ، وقد قدم الى باب القائد العام تتدلى قدماه من فوق حمار أسود هزيل ، لاتزيد كسوة هذا الحمار عن حبل يلتف حول عنقه .. وبعد أن هبط عن حماره قال الرجل مباشرة :

ـ أريد لقاء القائد العام .

ولسنا فى حاجة لأن نذكر أن مثل هذه الجرأة قد أثارت رفض الديدبان القاطع ، وضحك بعض الضباط وكذلك أثارت شك وتردد معاونيهم ، وكان ذلك ـ بالطبع ـ قبل أن يعلم صاحب السعادة الدون (يوجينو بورتو كاريرو) قائد عام مملكة غرناطة القديمة وقتئذ ، بحضور هذا الرجل .

ولما كان هذا القائد العظيم رجلا ذا طبيعة عطوفة ، ويعرف هيراديا من قبل الذى كان بدوره مشهورا بخدعه ومساوماته وطمعه فى بضائع جيرانه ، فقد أعطى الامر بالسماح له بالدخول ،

وحين وجد هيراديا نفسه داخل مكتب

القائد ركع على ركبتيه وقال :

فليبارك الله مارى ، أعظم القديسات وليمتعك الله بالعمر الطويل يا حاكم هذا العالم الصغير .

ـ انهض يا رجل ، وهات ماتريد أن تقوله :

أجاب الكونت بقسوة بادية عندئذ اتخذ هيراديا مظهرا جادا وقال : حسنا ياصاحب السعادة لقد أتيت من أجل الألف ريال التى تخصنى .

ـ ماهذه الألف ريال التى تتحدث عنها .

ـ تلك التى قدمها الاعلان ـ منذ أيام قلائل ـ الى أى شخص يأتى بمعلومات عن بارون .

ـ حقا .. انت تعرفه اذن .

ـ نعم ياسيدى .

ـ جيدا .

ـ اعرفه الآن .

ـ كيف ؟

ـ بمنتهى البساطة ، تعقبته ورأيته وأنا الآن آتى بالمعلومات وأطالب بالجائزة

ـ هل انت واثق من أنك رأيته .. ؟ سأله القائد والاهتمام يغالب الشك الذى انبعث فى نفسه :

فانفجر النورى بالضحك وقال :

ـ من الواضح جدا أن سموك تقول هذا غجرى آخر يحاول خداعى .. ولكن لا .. لايسامحنى الله أبدا اذا كنت أكذب .. لقد رأيت بارون بالامس .

ـ ولكن هل تعلم مدى أهمية ماتقول هل تعرف أننا حاولنا اقتناص هذا الوحش منذ عدة سنوات ، هذا الخارج على القانون الذى لايعرفه أحد ، ولم يره شخص قط ؟ هل تعلم انه يسطو ـ كل يوم ـ على عابرى السبيل فى بقاع مختلفة من الجبال ، ثم يطلق عليهم النار لأنه ـ كما يقول ـ الاموات لا يحكون قصصا ، وبهذه الوسيلة فقط استطاع أن يفلت من قبضة العدالة .. وأخيرا هل تعلم أن معنى رؤية بارون هو الموت ؟ .

فضحك النورى مرة أخرى وقال . ألا تعلم سعادتك أن ما يستطيع الغجرى ان يفعله لايستطيع أى شخص آخر فى العالم أن يأتى به ؟ هل يستطيع أحد معرفة متى يكون ضحكنا أو بكاؤنا حقيقيا وصادقا ؟ هل تعرف سعادتك ثعلبا فى مثل مكر النورى ، أقول ثانية ياجنرال أنا لم أر بارون فقط ، بل وتحدثت معه أيضا .

ـ أين ؟

ـ فى الطريق الى توزار

ـ والدليل ؟

ـ اسمع ياصاحب السعادة ، ذات صباح منذ أسبوع مضى ، وقعت وحمارى بين قبضة بعض اللصوص ، فربطونى باحكام وقادونى خلال متاهات حتى وصلنا الى منطقة مفتوحة حيث كان يعسكر اللصوص ، عندئذ استولى على شك رهيب وساءلت نفسى : هل يمكن أن يكون هؤلاء الناس قوم بارون ؟ اذا كان الامر كذلك ، فلا أمل هنالك لأن هذا الشيطان قدر ألا ترى العيون التى تشاهد وجهه شخصا آخر .

ووسط هذه الافكار اقترب منى رجل يرتدى ملابس غريبة ولكنها أنيقة ، ضربنى على كتفى وقال :

ـ أنا بارون ياصديقى ؟ سيان لدى أن تسمع هذا وتسقط على الارض أم لا

وانفجر اللص بالضحك . فوقفت مرتعدا ثم سقطت على ركبتى وصرخت

بكل نغمات صوتى التى كان فى استطاعتى التحكم فيها ٠

«فليبارك الله روحك ياملك الرجال٠٠ من ذا الذى لايعرفك من خلال مظهرك الملكى الذى منحه الله اياك ، لا أظن أن هناك أمهات أخرى يحملن أبناء مثلك ، دعنى أقبلك يابنى٠٠ فليمت هذا النورى فى عذابه اذا لم يكن يتوق للقائك ليتنبأ لك بحظك ويقبل يدك العظيمة ٠ ٠ اعتبرنى فى خدمتك ، هل تريد أن تعرف كيف تتاجر بالحمير الميتة مقابل غيرها من الاحياء ؟ هل تريد أن تبيع أحصنتك بثمن يعادل أحصنة صغيرة السن ؟ هل تريد أن تعلم بغلا اللغة الفرنسية ؟ »

لم يستطع الكونت مونتيجو أن يكتم ضحكه ثم سأل :

ـ وماذا قال بارون ردا على كل ذلك ماذا فعل ؟

ـ تماما كما فعلت سعادتك ، ضحك بكل ما كان يملك من قوة ٠

ـ وانت ٠

ـ وانا أيضا ضحكت ياسيدى، بينما نزلت على خدى دموع فى حجم ثمار البرتقال ٠

ـ استمر ٠

ـ وسرعان مامد بارون يده الى ثم قال : أنت ياصديقى أمهر من وقع بين يدى ، فالآخرين كلهم كان ذوقهم رديئا فضايقونى بالبكاء والعويل وما شابه ذلك من الهراء ، مما كان سببا فى تعكير مزاجى ٠٠ فأنت الوحيد الذى استطاع اضحاكى ، ولولا هذه الدموع ٠٠٠

ـ ماذا ياسيدى الطيب ؟ انها دموع الفرح ٠

ـ انى أصدقها ، فالشيطان وحده يعلم انها المرة الاولى التى أضحك فيها بعد ست أو سبع سنوات ، والحقيقة انى أيضا لم أبك ٠٠ ولكن فلنستمر ، مارأيكم أيها الأولاد ؟

حدث هذا بأسرع من طرفة العين لكى يقول بارون هذا فأجد نفسى محاطا بدائرة من البنادق ٠

ـ سيدى ، كن رحيما بى ، وبدأت فى التأوه ٠

ـ «ارفعوا أيديكم عنه» ، صاح بارون: لسنا على استعداد لذلك بعد ، لقد استدعيتكم لتبحثوا عما أخذتموه من هذا الرجل ٠

ـ حمار ولا شىء سوى ذلك ٠

ـ أى نقود ؟

ـ ثلاث دوروس وسبعين ريالا ٠

ـ والآن دعونا وحدنا ، فانسحبوا جميعا ٠

« والآن أخبرنى عن حظى » قال اللص ذلك مادا يده الى ، فأمسكت بها وفكرت لحظة ، كنت أعلم أنى لم أكن فى وضع يسمح لى بحرية الكلام ، ولذلك قلت له بكل الاقناع الموجود فى قلبى :

ـ بارون ـ ان عاجلا أو آجلا ـ فستموت على المشنقة ٠

أجاب المجرم بهدوء تام :

ـ أعرف ذلك مقدما ٠

ـ قل لى متى ؟

وبدأت أفكر ، هذا الرجل ـ قلت لنفسى ـ سيطلق سراحى وغدا ساكون فى غرناطة أدل على مكانه ، وفى اليوم التالى سيقبضون عليه ثم تبدأ المحاكمة ثم قلت بصوت مرتفع ، أنت تسألنى متى ؟ اعلم جيدا أن ذلك سيكون خلال الشهر المقبل ٠

فهز بارون كتفيه ـ وكذلك فعلت ـ خشية أن يكون تنبئى هو سبب موتى ٠

ـ اسمع أيها النورى : (أجاب بارون فى تؤدة) ستظل تحت سلطاني ، واذا لم أشنق فى نهاية الشهر القادم سأشنقك ، تماما كما شنقوا والدى ٠٠ أما اذا مت فى هذا الوقت فستذهب حرا

قلت فى نفسى :

ـ حسنا فعل ، أن يصفح عنى بعد موته ٠

وندمت لانى جعلت الفترة قصيرة جدا ٠

مكثنا فى المعسكر المذكور ، فوضعونى فى كهف كانوا يستعملونه كزنزانة ، بينما امتطى بارون فرسه وذهب الى الغابات ٠

فقال الكونت :

ـ حسنا ، فهمت ٠٠ بارون ميت ، وانت طليق ، ولذلك فأنت تعرف مكانه٠

ـ على العكس ياجنرال ، ان بارون على قيد الحياة ، والآن يأتى أسوأ جزء فى قصتى ٠

مر أسبوع ولم يأت الكابتن لرؤيتنا وعلى قدر ما استطعت الفهم والادراك ، لم يظهر بارون نفسه منذ الأمسية التى تنبأت له فيها بنهايته، وهذا شىء لايعتبر غير طبيعى بالمرة ـ كما أخبرنى حراسى ـ لانهم ، كما تعلم ، أخبرونى بأن رئيسهم يذهب الى الجحيم فى بعض الاحيان ولا يعود الا فى الوقت الذى يحلو له ٠٠ والحقيقة اننا لانعرف عنه شيئا خلال هذه الغيبات أو الاختفاءات ٠

وحول هذا الوقت ، بقوة الضراعة ، وبتأثير نبوءاتى لرجال العصابة بالتحرز من المشنقة والسن المتقدم المريع للجميع نجحت فى اقناعهم بأن يأخذونى الى خارج الكهف فى المساء ، ويربطونى الى شجرة ، لان الحرارة تصيبنى بالاختناق داخل الزنزانة ، ولست فى حاجة الى القول بأنه كان هناك ـ باستمرار ـ حارسان يلازمانني ٠

وذات مساء ، حوالى السادسة مساء ، عاد اللصوص العاملون الى المعسكر ومعهم مزارع بائس ، يبلغ الاربعين أو الخمسين من العمر ، موثق اليدين ، ويبكى بكاء يقطع القلوب وهو يقول : أعيدوا الى العشرين دوروس ٠٠ آه لو تعلمون كم يكلفنى الحصول عليها ، كد صيف باكمله فى الشمس ٠٠ صيف بحاله بعيدا عن زوجتى وأولادى ، لقد انتزعت هذا المبلغ بعرقى وجهدى وانكادى لذاتى لكى نستطيع الحياة فى الشتاء ، فحين أعود الى المنزل احتضن أولادى وأمهم ، وأدفع عنهم الديون التى تكون هذه المخلوقات قد تكبدتها لكى تعيش ٠٠ هل من الحق أن أفقد هذه النقود ٠ ٠ التى تعد ثروة بالنسبة لى ٠ الشفقةايها السادة أعيدوا الى العشرين دوروس من أجل أقدس سيدات الامس ٠

أجابت توسلات الرجل العجوز ضحكة ساخرة أطلقها اللصوص ، فارتعدت فرائصى من الرعب ، وانا مربوط الى الشجرة ، أتعذب فى صمت ، فللنور أيضا عائلات ٠

ـ « لا تكن أحمق » ٠

قالها أحد رجال العصابة وهو يتقدم نحو المزارع (انك ترتكب خطأ جسيما بتفكيرك فى النقود حينما يجب أن تشغل عقلك أمور أكثر أهمية» ٠

ماذا ؟ أجاب المزارع عاجزا عن التفكير

في مصيبته أكبر من كارثة أطفال دون خبز .

ـ انك في أيدي بارون .

ـ بارون ؟ لاأعرفه ـ لم أسمع عنه في حياتي ، لقد جئت من مكان بعيد جدا أنا من اليكانتي ، أجمع الأعشاب وأزرع الارض في سيفيل .

ـ ولكن ياصديقي ان بارون معناه الموت ، فكل من يقع بين أيدينا يجب أن يموت ، ولذلك فعليك أن تكتب وصيتك في خلال دقيقتين وان تتصالح مع ربك في دقيقتين ثانيتين ، استعد ، فلديك أربع دقائق فقط .

ـ سأحسن استعمالها ، انصتوا الى شفقة بي .

ـ تكلم .

ـ ان لي من الاطفال ستة وارملة بائسة ، سأقول ، طالما أني يجب أن أموت ، لانني أقرأ في عيونكم انكم أسوأ من الحيوانات الضارية ، نعم أسوأ ، فالحيوانات لايقتل أحدها آخر من بني جنسه ـ أوه ـ سامحوني فأنا لا أدري ما أقول ، أيها السادة لابد أن يكون أحدكم والدا .. ألا يوجد بينكم أب ، هل تعرفون معنى أن يكون لديكم أطفال يموتون جوعا طوال الشتاء ؟ هل تعرفون معنى أن ترى أم أطفال دمها يموتون صارخين (نحن جوعى .. البرد يقتلنا، أيها السادة ، لاأريد أن أحيا دونهم .. فالحياة من غيرهم لاتساوي شيئا .. سلسلة متصلة من العمل الشاق والحرمان .. ولكن .. يجب أن أعيش من أجل أطفالي ، أوه ، أطفالي .. أبناء قلبي .

وانتزع الوالد نفسه من على الارض ملفتا وجهه ناحية اللصوص ـ وبدا وجهه كوجه أحد القديسين الذين كان يلقى بهم نيرون الطاغية الى النمور ـ كما يقول القساوسة ـ وشعر اللصوص بشيء يتحرك في صدورهم ، ثم نظر كل منهم للآخر ، وحينما وجدوا أنهم جميعا عند نفس الرأي ، ولديهم نفس الاحساس تجرأ أحدهم فقال :

ـ ماذا قال ؟ سأل القائد العام متأثرا الى حد كبير بالقصة ، فواصل النوري حكايته قائلا :

قال أحد اللصوص :

ـ أيها الرفاق .. مانحن بصدد فعله لايجب أن يعرفه بارون .

ـ «أبدا .. أبدا ..» تمتم بقية افراد العصابة :

ـ (اذهب في طريقك أيها الرجل الطيب) ، قالها لص آخر وهو يكاد ينفجر بالبكاء ، فأشرت للمزارع بطرف خفي أن عليه أن يذهب في الحال .
« أسرع » « تقدم » .

صاحوا كلهم في نفس واحد : .. ثم أداروا له ظهورهم .

فمد المزارع يده لهم في ضراعة .. وزمجر : أحدهم .. أحدهم .. ألا يكفيك هذا .. لقد أبقينا عليك حياتك هل تريد أيضا نقودك ؟

ـ اذهب ! اذهب ! لاتحاول أن تفقدنا صبرنا .

فذهب الوالد المسكين باكيا وسرعان ما اختفى عن الانظار ، ولكن بعد نصف ساعة قضاها اللصوص يقسم كل منهم

للآخر ألا يخبروا الكابتن بأنهم قد أطلقوا سراح رجل ، ظهر بارون فجأة يقود المزارع بجانب فرسه ، فتراجع أفراد العصابة فى دهشة ، ونزل بارون ببطء من على ظهر مطيته وحل وثاق غدارته وصوبها نحو زملائه قائلا :

أيها الحمقى ٠٠ أيها الاغبياء ، لاأدرى لماذا لاأطلق النار على كل واحد منكم ، اعيدوا بسرعة الى هذا الرجل العشرين دوروس التى أخذتموها ، فأخرج اللصوص المال وأعطوه للمزارع ، الذى ألقى بنفسه عند قدمى رئيس العصابة طيب القلب ، فقال بارون :

ـ فليمنحك الله السلام ، بدون ارشاداتك ماكنت أعرف مكانهم أبدا٠٠ والآن ترى أنك وضعت ثقتك فى محلها فقد حققت لك وعدى وحصلت على العشرين دوروس ٠٠ والآن عليك ان تبتعد عن هنا ٠

فقبل المزارع أقدام بارون مرات ومرات ، ورحل يملؤه السرور والغبطة ، ولكنه لم يكد يبعد خمسين خطوه حتى استدعاه المحسن اليه فأسرع المسكين بالعودة وساله « بماذا تأمر ؟ » قالها متحمسا لأداء خدمة لمن أعاد السعادة الى عائلته ، فسأله المحسن « هل تعرف بارون ؟ » ٠

ـ « لا أعرفه » ٠

ـ « انت مخطىء » ، « فانا هو » ٠

وقف المزارع صامتا فى غباء ، فتناول بارون غدراته وصوبها نحو جبهته وأطلق عليه النار ، فسقط المزارع يتدحرج على الأرض ويقول : «فليلعنك الله» وكانت هذه هى الكلمات الوحيدة التى فاه بها ، ومن خلال الرعب الذى أعمانى ، شعرت بالشجرة التى كنت قد ربطت اليها تهتز ببطء ، فعلمت أن وثاقى لم يكن محكما ، فقد انطلقت احدى شظايا الرصاصات بعد أن جرحت المزارع وأصابت الحبل الذى كان يشدنى الى الشجرة وقطعته ، ولكنى أخفيت هذه الحقيقة ٠٠ انى أصبحت طليقا ٠٠ وانتظرت الفرصة لكى أهرب ، وفى هذه الأثناء قال بارون لرجاله مشيرا الى المزارع ٠

« والآن تستطيعون سرقته أيها الأغبياء الحمقى ، تطلقون سراح هذا الرجل ليفعل ما فعل ٠٠ يعوى ويصرخ طوال الطريق ٠٠ ولحسن الحظ كنت أنا اول من يقابله ، وعلمت منه بما حدث ، ولو صادف وتقابل مع الجنود ، فلا بد وأنه كان سيدلهم على هذا المعسكر ، تماما كما فعل معى ولكنا الآن جميعا فى السجن ٠٠ انظروا نتيجة السرقة دون قتل ، والآن كفانى خطابة ، ادفنوا هذا الجسد قبل أن يتعفن ويتحلل » ٠

وبينما كان اللصوص يحفرون القبر ، اخذ بارون يتناول طعامه موليا ظهره لى ، فبدأت أتحرك بالتدريج بعيدا عن الشجرة ، وانزلقت الى حفرة قريبة ، ولما كان الوقت ليلا تقريبا ، وتحت ستار الظلام بدأت رحلتى بكل سرعة ، واستطعت الاستدلال على مكان حمارى بواسطة ضوء النجوم ، فوجدته مربوطا فى شجرة يأكل فى هدوء ، فامتطيته ولم أتوقف أبداحتى وصلت الى هنا ٠ ولذلك يا صاحب السعادة اعطنى الألف ريال وسأدلك على الأثر الذى يقود الى مخبأ بارون ، وعلى فكرة ،

لقد احتفظ لنفسه بما كنت أملك ... ثلاثة ونصف دوروس » .

وبعد أن أعطى النورى وصفا لرئيس العصابة ، تلقى الجائزة الموعودة ورحل عن مكتب الجنرال ، تاركا للكونت وشخصا آخر كان حاضرا ـ وهو الذى حصلت منه على تفاصيل هذه القصة ـ فى حيرة بالغة .

يتبقى لنا بعد ذلك أن نعرف حقيقة تنبؤات هيراديا بشأن مصير بارون .

بعد خمسة عشر يوما من المشهد الذى وصفناه ، وفى حوالى التاسعة صباحا ، شهد حشد من المتسكعين فى الشوارع مجموعتين من الجنود تتجمعان فى شارعى سان جوان دى ديوس وشارع سان فيليبى فى المدينة وبعد حوالى نصف ساعة بدأ الجنود رحلتهم للبحث عن بارون ، بعد أن أذاع الكونت مونتيجو أوصاف مخبئه وشخصه ورفاقه . وكان اهتمام الجمهور وحماسه بالغين ولم يقل عنه حماسة وحرصا التعقل الذى أبداه الجنود حين ودعوا عائلاتهم وأصدقاءهم قبل بدئهم هذه الرحلة المعنة فى الأهمية ... وهكذا أثار بارون هذا الخوف الكبير فى مملكة غرناطة القديمة .

ـ « يبدو أننا على أهبة التحرك » قالها جندى لزميله « ولكنى لا ألاحظ وجود الكوربورال لوبيز » .

ـ « هذا غريب لأن لوبيز يكون دائما فى المقدمة اذا كان هناك حديث عن اقتناص بارون ، فلوبيز يكره بارون من كل قلبه » .

ـ « ألا تعرف ما حدث ؟ » تدخل جندى ثالث فى الحديث .

ـ « هالو ! هذا هو رجلنا الجديد ! ما رأيك فى جماعتنا هذه ؟ » .

ـ « فى الحقيقة لا بأس بها » أجاب الجندى الذى وجه اليه هذا السؤال .

كان ذو ملامح شاحبة وقوام جميل وان كان يختفى جزئيا فى زيه الرسمى .

ـ « ماذا كنت تقول ؟ » سأل الجندى الأول .

ـ « آه ، نعم ، كوربورال لوبيز مات » أجاب الرجل ذو الوجه الشاحب .

ـ « مانويل ؟ ما هذا الذى تقوله ؟ لايمكن أبدا ؟ لقد رأيت لوبيز هذا الصباح بعينى رأسى تماما كما أراك الآن » .

فقال الجندى المدعو مانويل ببرود : « قتله بارون منذ نصف ساعة » .

بارون ؟ أين .

ـ هنا فى غرناطة ، وجدوا جثته على تل دوج ، فلزم الجميع الصمت ما عدا مانويل الذى بدأ يصفر لحنا وطنيا .

ـ لقد فقدنا أحد عشر جنديا فى ستة أيام : قال السرجنت :

ـ ان بارون يقصد أن يبيدنا عن آخرنا ، ولكن كيف يتأتى له أن يكون فى غرناطة ؟ ألسنا ذاهبين للبحث عنه فى جبال دى لوجا ؟

فتوقف مانويل عن الصفير وأجاب باهماله المعتاد : ان السيدة العجوز التى شاهدت الحادث تقول انه طالما أن بارون قد قتل لوبيز ، فانها تأمل ، اذا بحثنا عنه أن نسعد بلقائه .

ـ أيها الزميل، ألست فى غاية الجراءة أن تتحدث عن بارون بمثل هذا الاحتقار

ـ حسن ؟ ولكن هل بارون يزيد عن كونه رجلا عاديا ·· هل هو أكثر من رجل ؟ سألهم مانويل هازا كتفيه ، وفى تلك اللحظة صدرت الاوامر بالتجمع والتقدم ، فتكونت الجماعتان وبدأ نداء الاسماء التقليدى للتأكد من وجود الجميع ·

وحدث فى هذه اللحظة مرور هيراديا بالقرب منهم ، وكأى شخص آخر ·· توقف ليبدى اعجابه بهذا الجيش الصغير ولكن المباغتة بدت على وجه مانويل الجندى الجديد ، الذى أخذ يتراجع الى الخلف ليختفى خلف زملائه ، بينما لمحه هيراديا ، فأطلق صرخة مجنونة ثم قفز الى أعلى كما لو كان قد وطىء ثعبانا سامًا ، وأخذ يجرى فى شارع سان جيرونيمو ·

ورفع مانويل بندقيته وصوبها نحو الغجرى ، ولكن جنديا آخر كان أسرع منه ، فأطاح بالبندقية الى أعلى وذهبت الطلقة طائشة فى الهواء ، ثم توالت الصرخات التى أطلقها المشاهدون والضباط والجنود وهم يقولون : «انه مجنون» ! لقد فقد مانويل عقله ! لقد فقد أحد الجنود صوابه ، ثم هجم المدنيون على الجندى المجنون الذى بدأ يناضل بكل عنف وقوة ليفلت منهم ، ولكنه استسلم لهم فى النهاية ، ولم تجد الاسئلة والاتهامات والاهانات التى غمروه بها فى انتزاع أية اجابة منه ·

وفى نفس الوقت كان بعض المارة قد أمسكوا بهيراديا الذى شاهدوه يجرى هاربا ولانهم سمعوا طلقات البندقية ظنوه قاتلا فارا ·

فقال لهم النورى : خذونى الى القائد العام ·· يجب أن أتحدث مع الكونت مونتيجو ·

ـ الكونت مونتيجو حقا ! من الذى قتله ؟ سأله معتقلوه ·

ـ لقد أتى الحراس وهم يعرفون ماذا يفعلون بك ؟

فأجابهم هيراديا ، وأنا كذلك ! أظن ذلك أيضا ، ولكن احرصوا على ألا يقتلنى بارون ·

ـ ماذا تقصد ببارون ؟ ماهذا الذى يتحدث عنه هذا الرجل ؟

ـ ( تعالوا وسوف تروا ) وبقوله هذا سمح لهم النورى أن يأخذوه الى مقر قيادة الفرقة ، فأشار هيراديا الى مانويل ·· ووجه حديثه الى القائد قائلا :

ـ أيها القائد ، هذا هو بارون ، وانا النورى الذى أعطيت منذ أسبوعين أوصافه للكونت مونتيجو ·

فصرخ الجمهور : بارون ! ! لقد قبض على بارون ، لقد تحول أحد الجنود وأصبح بارون ·

ـ (لا شك فى هذا) ، قال القائد وهو يقرأ الامر الذى أعطاه له القائد العام ، لقد كنا بالتأكيد فى منتهى الغباء ، ولكن من كان يخطر بباله أن يبحث عن زعيم اللصوص بين الجنود الذين يبحثون عنه·

( انما المغفل هو أنا ) قالها بارون لنفسه ، ملقيا بنظره الى النورى بعينين كعينى الأسد الجريح ·

ـ ان هذا الرجل هو الوحيد الذى استبقيت له حياته ! وانا أستحق ماحدث ·

وفى الاسبوع الثانى أعدم بارون ·· وهكذا تحققت نبوءة النورى بحذافيرها·